أرسطوطاليس

الخطابة

الترجمة العربية القديمة

حققه وعلّق عليه

عبد الرحمن بدوي

الناشر

وكالة المطبوعات
الكويت

دار القلم
بيروت - لبنان

١٩٧٩

فهرس الكتاب

صفحة

تصدير عام ... ... ر — ل

المقالة الأولى

١ — الخطابة والجدل : فائدة الخطابة وغايتها ... ... ٣ — ٩
٢ — تعريف الخطابة ؛ الاحتمال والعلامة والمثل ... ... ٩ — ١٦
٣ — أنواع الخطابة وغاية كل منها ... ... ١٦ — ١٩
٤ — موضوعات المقدمات في المشوريات ... ... ١٩ — ٢٢
٥ — الغاية في المشورة ؛ الخير الأسمى وأجزاؤه ... ... ٢٢ — ٢٧
٦ — في الخير والنافع ... ... ٢٧ — ٣٠
٧ — مواضع تمييز كبير الخير وصغيره ... ... ٣٠ — ٣٦
٨ — أنواع الدساتير ؛ عددها وطباعها والغاية من كل منها... ... ... ٣٦ — ٣٨
٩ — في الفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبيح ، وما يدعو إلى الذم أو المدح ... ٣٨ — ٤٥
١٠ — في الاتهام والدفاع . عدد مصادر القياس وطبيعتها ... ... ٤٦ — ٥٠
١١ — الأمور النافعة ... ... ٥٠ — ٥٧
١٢ — من هم الذين يسيئون ؟ وما نوع إساءتهم ، وإلى من ؟ ... ... ٥٧ — ٦٣
١٣ — الأفعال الجائرة والعادلة ... ... ٦٤ — ٦٩
١٤ — كيف تعرف أن فعلا أعدل من فعل ... ... ٦٩ — ٧٠
١٥ — في الحجج المستقلة عن الصناعة ... ... ٧١ — ٧٩

المقالة الثانية

١ — كيف نؤثر في نفوس الحكام... ... ... ٨٠ — ٨٢
٢ — في مثيري الغضب ؛ والغضاب ؛ ودواعي الغضب... ... ... ٨٢ — ٨٨
٣ — من الساكن ؛ وقبل من يكون المرء ساكنا وفي أي الأشياء... ... ٨٨ — ٩١
٤ — من هم الذين يصادقون أو يبغضون ؛ ولأي سبب... ... ... ٩١ — ٩٦
٥ — في الخوف والأمن ... ... ٩٦ — ١٠١
٦ — في الخزي ... ... ١٠١ — ١٠٦

صفحة

٧ – المنن ؛ الأشخاص والدوافع ؛ استعداد من يمنحونها ... ... ١٠٦ – ١٠٨
٨ – فى الهم ... ... ١٠٨ – ١١١
٩ – فى النقمة ... ... ١١٢ – ١١٦
١٠ – فى الحسد ... ... ١١٦ – ١١٨
١١ – فى الحمية .. .. ١١٨ – ١٢٠
١٢ – الأخلاق ... ... ١٢١ – ١٢٤
١٣ – أخلاق الشيوخ ... ... ١٢٤ – ١٢٦
١٤ – أخلاق السن الناضجة ... ... ١٢٦ – ١٢٧
١٥ – أخلاق الحسب ... ... ١٢٧ – ١٢٨
١٦ – أخلاق الأغنياء ... ... ١٢٨ – ١٣٠
١٧ – أخلاق الجد ... ... ١٣٠ – ١٣١
١٨ – الخصائص المشتركة بين جميع أجناس القول... ... ... ١٣١ – ١٣٣
١٩ – فى الممكن وغير الممكن ... ... ١٣٣ – ١٣٧
٢٠ – فى المثل وأنواعه واستخدامه ... ... ١٣٧ – ١٤١
٢١ – الرأى ؛ أنواعه ؛ استخدامه ؛ نفعه ... ... ١٤٢ – ١٤٨
٢٢ – فى التفكيرات (= الضمائر) العامة ... ... ١٤٨ – ١٥٢
٢٣ – مواضع التفكيرات ... ... ١٥٢ – ١٦٩
٢٤ – مواضع التفكيرات الظاهرة ... ... ١٦٩ – ١٧٥
٢٥ – فى النقائض .. .. ١٧٦ – ١٧٩
٢٦ – الأخطار التى يجب تجنبها ... ... ١٧٩ – ١٨٠

المقالة الثالثة

١ – أقسام فن الخطابة ... ... ١٨١ – ١٨٥
٢ – فى صفات الأسلوب ... ... ١٨٥ – ١٩٢
٣ – فى برود الأسلوب... ... ... ١٩٢ – ١٩٥
٤ – فى الصورة أو المقارنة ... ... ١٩٥ – ١٩٧
٥ – فى سلامة الأسلوب ... ... ١٩٨ – ٢٠٠
٦ – فى وسائل الإطناب ... ... ٢٠٠ – ٢٠١
٧ – فى تناسب الأسلوب ... ... ٢٠٢ – ٢٠٤

صفحة

٨ – فى النبرة الخطابية ... ... ٢٠٤ – ٢٠٧
٩ – الأسلوب المفصل والأسلوب المقطع ... ... ٢٠٧ – ٢١٢
١٠ – فى أساليب التعبير المهذب ... ... ٢١٢ – ٢١٧
١١ – وسائل تجميل الأسلوب ... ... ٢١٨ – ٢٢٥
١٢ – فى الأسلوب الخاص بكل نوع ... ... ٢٢٥ – ٢٢٨
١٣ – فى أجزاء الكلام ... ... ٢٢٨ – ٢٣٠
١٤ – فى الاستهلال ... ... ٢٣٠ – ٢٣٦
١٥ – وسائل نقض الاتهام ... ... ٢٣٦ – ٢٣٨
١٦ – فى الاقتصاص ... ... ٢٣٨ – ٢٤٤
١٧ – التصديقات (الحجج) ... ... ٢٤٤ – ٢٤٨
١٨ – فى المسئلة والهزل ... ... ٢٤٩ – ٢٥١
١٩ – فى خاتمة الكلام ... ... ٢٥٢ – ٢٥٣
فهرس الأعلام ... ... ٢٥٦ – ٢٦٥
المصطلحات اليونانية الرئيسية ... ... ٢٦٦ – ٢٦٧

تصـــدير عام

سنقتصر فى هذا التصدير على الكلام فى الترجمة العربية القديمة لكتاب « الخطابة » لأرسطو دون التعرّض لموضوعه ومشكلاته ، لأننا سنصدر مجلداً آخر نترجم فيه عن اليونانية هذا الكتاب ، وهناك نحلّل موادّه ونعالج مسائله ونستقصى البحث فى كل ما يتصل بالفن الذى ينتسب إليه وتاريخه قبل أرسطو ومن بعده إلى عهد الرومان .

والترجمة العربية التى نقدمها جاءت ويالللأسف سقيمة ، انحرفت عن معانى النص وأساءت فهمه ، وعسر المترجم — المجهول لنا — عما فهمه أو بالأحرى أساء فهمه بألفاظ واصطلاحات غريبة يعسر على المرء أن يفهم السر فى التجائه إليها : أذلك لأن هذه الترجمة ترجع إلى المرحلة الأقدم فى ترجمة مؤلفات أرسطو المنطقية ، أم لأن المترجم كان بعيداً عن المنطق ومصطلحاته فكان يترجم ترجمة لغوية حرفية ؟

إن كل ما قاله ابن النديم فى الفهرست (ص ٣٤٩ ، طبعة مصر) عن هذا الكتاب هو :

« الكلام على ريطوريقا : ومعناه « الخطابة » — يصاب بنقل قديم . وقيل إن اسحق نقله إلى العربى . ونقله ابراهيم بن عبد الله . فسره الفارابى ، أبو نصر . رأيت بخط أحمد بن الطيّب هـــذا الكتاب نحو مائة ورقة بنقل قديم » .

ولا يضيف القفطى (ص ٢٨ طبع مصر) شيئاً إلى ما قاله ابن النديم ، وإنما يذكر فى « ثبت كتب أرسطوطاليس على ما ذكره رجل يسمى بطلميوس فى كتابه إلى أغلس » ما يلى ضمن هذا الثبت : « كتابه (أى أرسطوطاليس) فى صناعة ريطورى ، وهى الخطابة ، ثلاث مقالات » (ص ٣٣) .

فلو نظرنا فى كلام ابن النديم لوجدنا أنه من الثابت أنه كان هناك نقل قديم لم يعرف ابن النديم من قام به ولم يذكر أحمد بن الطيب السرخسى — تلميذ الكندى — من الذى نقله .

وأما قوله : « وقيل إن اسحق نقله إلى العربى » — ويقصد هنا اسحق ابن حنين — فأمرٌ يدعو إلى كثير من الشك ، لأنه لو كان قد ترجمه لكان ابن السمح ، الذى عنه نقلت الترجمة التى بين أيدينا ، قد لجأ إلى نسخه بدلا من هذه الترجمة السقيمة جداً على حد تعبيره هو (ص ٢٥٤ من هذا الكتاب) .

كذلك لا يمكن أن تكون الترجمة التى بين أيدينا هى ترجمة ابراهيم بن عبد الله الكاتب ، الذى ترجم المقالة الثامنة من كتاب « الطوبيقا » (راجع نشرتنا : « منطق أرسطو » حـ ٣ ص ٦٩٠ — ٧٣٣ القاهرة سنة ١٩٥٢) من السريانى بنقل إسحق إلى العربى ، لأن إبراهيم بن عبد الله كما يظهر من ترجمة المقالة الثامنة يحسن الفهم ويعرف المصطلحات المنطقية التى كانت قد استقرت ؛ ويضاف إلى ذلك أنها لو كانت له لكان ابن السمح فى التعليقة الواردة فى آخر الترجمة التى ننشرها قد ذكر ذلك لقرب عهده به .

فلم يبق إذن إلا أن نقرر أن الترجمة التى ننشرها هنا هى هذا « النقل القديم » المجهول صاحبه والذى ذكره ابن النديم ونسخه أحمد بن الطيب فى نحو مائة ورقة .

لكن ما معنى أنه « قديم » ؟ المقصود من غير شك أنه نقل يرجع إلى المترجمين قبل عصر حنين (سنة ١٩٤ هـ — سنة ٢٦٠ هـ) ، أى إلى أوائل القرن الثالث للهجرة إن لم يكن قبل ذلك — وهذا وحده هو الذى يفسر غرائب هذه الترجمة ، أعنى :

(١) أن اصطلاحاتها ليست الاصطلاحات التى استقرت فيما بعد ؛

(٢) أن فيها أخطاءاً فى الفهم عديدة جداً .

لكن يحق لنا أن نتساءل : ولماذا إذن بقيت هـذه الترجمة السقيمة واستمرت وحدها – فيما يلوح – الرائجة بين الناس حتى القرن الخامس الهجرى ؟

لابن السمح فى تعليقته المذكورة تفسير لذلك ، إذ قال : « هذا الكتاب (أى الخطابة) لم يبلغ كثير ممن قرأ صناعة المنطق إلى درسه ولم ينظر فيه أيضاً نظراً شافياً ، فلذلك ليس توجد له نسخة صحيحة أو معنى مُصَحَّحٌ ما » (ص ٢٥٤ من هذا الكتاب) . أى أن عدم تدارسه من جانب أهل الفلسفة هو السبب فى عدم العناية به وتحقيقه وتصحيح ترجمته ومعانيه .

لكن فى الخبر الذى ذكره ابن النديم أن أبا نصر الفارابى فسر هـذا الكتاب ؛ كذلك يذكر ابن أبى أصيبعة (١٣٨/٢) للفارابى : « شرح كتاب الخطابة لأرسطوطاليس » ثم « صَدْر لكتاب الخطابة » ، ثم « كتاب فى الخطابة كبير عشرون مجلداً » – فعن أية ترجمة إذن فسّر الفارابى وشَرَح وصدّر ؟ هل عن هذا « النقل القديم » ؟ أو عن الترجمة المزعومة لإسحق بن حنين إن كانت قد وجدت ؟

مهما يكن الأمر ، فإن اهتمام الفارابى بهذا الكتاب كان كبيراً جداً كما يبدو من عنوانات هذه الكتب ؛ وهذا يحدُّ من مدى كلام ابن السَّمْح ، اللهم إلاّ أن يكون قد قصد إلى مفسّرى كتب أرسطوطاليس اليونانيين من أمثال الإسكندر وثامسطيوس ويحيى وسنبلقيوس .

وفى معرفة النقل الذى اعتمد عليه الفارابى فى تفسيره حل لكثير من المشاكل . ولكننا لا نستطيع حتى الآن أن نعرف من صاحب هذا النقل .

أما القسم الخاص بالخطابة من كتاب « الشفاء » لابن سينا فنحن نقطع أن ابن سينا لم يعتمد فيه على هذه الترجمة القديمة التى بين أيديك الآن ،

بل نرجح أن يكون قد اعتمد على شرح الفارابى هذا ، لأن الترجمة التى أمامنا لا يمكن أيداً أن يستخلص منها ابن سينا هـذا العرض الواضح الذى نراه فى قسم الخطابة من كتاب « الشفاء » ، كما أن المصطلحات الخطابية التى يستعملها ابن سينا تختلف كثيراً عن الاصطلاحات الواردة فى هذا النقل القديم الذى ننشره . وكثيراً ما اعتمد ابن سينا على شروح الفارابى ومؤلفاته فى فهم أرسطوطاليس ، كما نعرف جيداً من أقوال ابن سينا نفسه .

على أن هذا يعود بنا إلى رأس المشكلة من جديد ، وهى : هل وجد نقل آخر غير « النقل القديم » فى الفترة ما بين الثلث الأخير من القرن الثالث والثلث الأول من القرن الرابع ، وهى الفترة التى ألف فيها الفارابى وأنتج — إن كان فلا بد أن يكون نقل إسحق بن حنين إن افترضنا أنه وجد ؛ وإما أن نفترض فرضاً آخر هو أن يكون الفارابى قد عرف كتاب « الخطابة » مباشرةً فى أصله اليونانى ، إن صحّ ما تشير إليه بعض الروايات من أنه كان يعرف اليونانية . على أن كلا الفرضين لا يزال بمعزلٍ عن التأييد الكافى .

ونحسب أن الأثر الذى كان لكتاب الخطابة لأرسطو فى الدوائر غير المشتغلة بالفلسفة ، إنما جاء وانتشر من شروح الفارابى هذه .

ويلوح أن شرح الفارابى هـذا هو الذى ترجمه هرمانس اليمانس (سـنة ١٢٥٦ م) بعنوان *Declaratio compendiosa super libris Aristotelis rhetoricorum* وقد طبع فى البندقية سنة ١٤٨١ و سنة ١٥١٥ . كما أن چوردان Jourdain الباحث المشهور فى تاريخ الترجمات اللاتينية عن العربية قد عثر فى المخطوط رقم ٩٥٤ السوربون بباريس على كتاب بعنوان *Didascalion* لهرمانس أليمانس وهو مدخل إلى الريطوريقا بحسب شرح

الفارابى وفيه يبحث فى تعريف كتاب الخطابة وأقسامه ، ويظهر أنه ترجمه عن العربية[1] .

وإنما تأتى قيمة هذا « النقل القديم » الذى ننشره اليوم من أوجه أخرى :

١ — فهو أولا يمثل المرحلة الأولى من مراحل ترجمة كتب أرسطوطاليس إلى العربية : وهى المرحلة التى تقع فى الثلث الأخير من القرن الثانى الهجرى والثلث الأول منه ؛ وهى مرحلة بناء المصطلحات الفلسفية ؛ وأغلب الظن أن الترجمة إبانها كان أكثرها عن السريانية لا عن اليونانية مباشرة كما سيفعل حنين ومدرسته .

٢ — وهو ثانياً النقل الوحيد الباقى لنا من كتاب « الريطوريقا » لأرسطوطاليس ، ولهذا أهميته الكبرى فى إكمال التراث الأرسطى فى العربية ؛

٣ — وهو ثالثاً يفيد فى بعض المواضع فى تقويم أو ترجيح قراآت النص اليونانى لأنه يعتمد على مخطوط يونانى قديم ، أقدم من أقدم مخطوط يونانى لدينا اليوم ، وهو المخطوط رقم Parisinus 1741 (A) فى باريس ويرجع إلى القرن الحادى عشر أو فى الأقدم إلى القرن العاشر (الرابع الهجرى) ، وسائر المخطوطات اليونانية حديثة ترجع إلى القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر وفيها انحرافات كثيرة عن مخطوط باريس ١٧٤١ القديم ،

(١) راجع فى هذا : Steinschneider : *Alfarabi*, p. 59; F. Lasinio : Il Commento medio d'Averroé alla Poetica, P. I, p. VII. Pisa, 1872.

و — وهو يتيح لنا أخيراً أن نبحث في مدى أثر هذا الكتاب ، أعني « الخطابة » لأرسطوطاليس ، في نشأة علم البلاغة العربية ، وهو أمرٌ ما كان يمكن القيام به قبل نشر هذا الكتاب ، ولهذا خطره فى تأريخ علم كان له مركز الصدارة بين علوم العربية فى القرنين الرابع والخامس حتى استقرت قواعده نهائياً فى القرن السادس ، ومن ثم تحجّر فى قوالب تقليدية . وإذن فالبحث يجب أن يتجه إذن إلى كتب البلاغة التى ألفت فى القرنين الرابع والخامس وإلى الإشارات والملاحظات التى قد نجدها فى كتب الأدب واللغة فى القرن الثالث . وهنا مجال واسع جداً للبحث الفيلولوجى والبلاغى معاً .

* * *

ولقد بذلنا كل ما أمكن من جهدٍ فى سبيل إصلاح النص ، وهو نص — كما قال ابن السمح نفسه فى التعليقة الواردة فى آخر النص — سقيم جداً . وكان عوننا فى ذلك : النص اليونانى نفسه ، كما كانت الترجمة السريانية عوناً لابن السمح فى تقويم بعض ما سقم منه . لكننا قد وجدنا السقم يشمل كل صفحة تقريباً ، لذا لم نتعقب كل موضع من مواضع الترجمة بالتنبيه عليه فى الهامش وإيراد ترجمة صحيحة للنص السقيم ، وإلا لكان علينا أولى من هـــذا كله أن نعيد إصلاحه كله عبارة عبارة . ولهذا لم يكن فى وسعنا إلا التنبيه على بعض المواضع التى يلوح سقم الترجمة وفسادها بصورة بارزة جداً تقضى على المعنى كله . وما ذكرنا هذه التنبيهات على مواضع السقم إلا على سبيل التمثيل ؛ فهيهات أن يتم حصرها وهى لا تحصى !

وأسماء الأعلام قوّمناها كلها ورددناها إلى أصولها اليونانية مع الاحتفاظ بأقرب صورة إلى ما ورد فى النص المخطوط ، وترجمنا لها . كما أننا رددنا النقول والاقتباسات إلى أصحابها ومواضعها من مؤلفاتهم اليونانية المنشورة .

وبالجملة فقـــد صنعنا بهذا « النقل » العربى « القديم » صنيع علماء الآثار : أجرينا فيه من الترميمات — التى دللنا عليها فى كل موضع فى الهامش أينما فعلنا ذلك — بقدر ما يتحقق معه بقاء الأثر أثراً قديما والحيلولة دون تهدمه وسقوطه .

أما الحريصون على الآثار فحسبهم هذا النص ، أما الذين لايهمهم الأثر القديم ، بل ترجمة نص أرسطو بالدقة التى يتطلب النقد الحديث توافرها — فعليهم أن ينتظروا حتى ننشر الترجمة التى قمنا بها

باريس فى صيف سنة ١٩٤٩ عبد الرحمن بدوى

كتاب الخطابة

لأرسطوطاليس

الرموز

ص = مخطوط باريس رقم ٢٣٤٦ عربى بالمكتبة الأهلية .

ش = حاشية وردت فى هامش المخطوط .

ف = ورد فوق الكلمة .

< > : ناقص وأضفناه نقلا عن اليونانى .

( ) : ورد فى الأصل ونقترح حذفه .

[ا ب] الله أستكفى الزلل فى الفكر والقول والعمل
فهو حسبى ونعم الكافى

بسم الله الرحمن الرحيم نستعين بالله

المقالة الأولى من كتاب أرسطوطالس
المسمى ريطوريقا[1] ، أى الخطابة

١

< الخطابة والجدل : فائدة الخطابة وغايتها >

إن[2] الريطورية[3] ترجع على الديالقطيقية[4] ، وكلتاهما توجد[5] من (١٣٥٤ ا) أجل شىء واحد[6] ويشتركان[7] فى نحو[8] من الأنحاء . وقد توجد معرفتهما[9] لكل ، إذ[10] ليست[11] واحدة منهما علماً من العلوم منفرداً ؛ ولذلك[12] ما توجد[13] جميع العلوم مشاركة لهما فى نحو .

---

(١) ش : الريطوريقا بلاغة فى الحكومة .

(٢) ش : إن < الخطا >بة هى عكس < الج >دل ، لأن كليهما يوجدان من أشياء هذه حالها .

(٣) ف بالأحمر : يعنى صناعة الخطابة .

(٤) « « : يعنى صناعة الجدل .

(٥) ص : توجدان .

(٦) ش : يعنى الإقناع .

(٧) ش : وهى أنها معروفة على وجه من الوجوه عند كل أحد معرفة كلية .

(٨) ش : يعنى أنهما يعان المقاييس لإثبات المتقابلين .

(٩) ش : يعنى الجدل والخطابة فإنهما يتكلمان فى جميع العلوم .

(١٠) ش : وليستا إلى علم واحد منسوبتين .

(١١) ش : أى أنهما جميعاً غير خاصين بعلم ما .

(١٢) ش : ولذلك صار الكل ينالون من كليهما على حال ما .

(١٣) ش : يعنى أن واحداً من أصحاب علم علم يتكلم فى علمه ؛ والجدلى والخطيب أيضاً يتكلمان فى ذلك ، فلذلك تكون هاتان الصناعتان مشاركتين لعلم علم .

فكل[١] الناس في نحو — وحتى الشيء فقط — يستعملون الفحص وتقليد الكلام والاعتداد والشكاية فيصدقون[٢] . فمن العـامة من يفعل ذلك هملا[٣] ، ومنهم من يفعل ذلك بالاعتياد عن قنية راسخة .

وإذا[٤] كان هذا ممكناً أن يكون من هاتين الجهتين[٥] فهو معلوم أن هذا النحو أرشد وأصوب . ولذلك[٦] قد ينجح الذين يفعلون هذا بالاعتياد ، والذين يستطيعون أن يتصوروا العلة فيه من تلقاء أنفسهم . والعلماء[٧] مقرّون بأن هذا فعل الصناعة والحذق بها .

فأما هؤلاء الذين يؤلفون صناعة الكلام الآن ، فلم يتخلصوا إلى أن يضعوا لها جزءاً أو قسماً من الأقسام ، لأن التصديقات إنما هي أمر صناعي فقط . وأما تلك الأخرى فزيادات[٨] . ولم يقولوا في التفكيرات التي هي عمود التصديق ، لكنهم قالوا وأكثروا في هذه التي هي خارجةٌ عن الأمر نفسه ، فإن الخوف والرحمة والغضب وما أشبه ذلك من الآلام المُمْتَرية للنفس ليست في الأمر نفسه ، لكنها نحو الفاحص .

فلوكانت الريطورية توجد عند جميع الحكام على مثل ما هي عليه الآن في خواص من المدائن ، وإن كن قد تدبرت تدبيراً حسناً ، لم يكن لهؤلاء

---

(١) ش : لأن الكل يرومون أن يبحثوا وأن يتقلدوا القول وأن يقتدروا وأن يلبثوا إلى مقدار من المقادير .

(٢) ش : وجمهور الناس فبعضهم يفعل ذلك جزافاً ، وبعضهم من أجل العادة وما قد تحصل فيه ملكة .

(٣) ش : يعني أن من العامة من يفعل ذلك هملا ، ومنهم من يفعل ذلك بصناعة وحذق .

(٤) ش : وإذا كان الأمر ممكناً من الوجهين ، فمن البين أنه يجوز أن يطرق لها .

(٥) ش : يعني الاعتياد .

(٦) ش : لأنه قد يمكن أن ننظر السبب الذي لأجله يصيب المتكلمون من أجل العادة والمتكلمون من تلقاء نفوسهم .

(٧) ش : وقد يقر بذلك كل أحد أنه فعل للصناعة .

(٨) ش : أي فعل من الأفعال الصناعية وليس بجزء من أجزائها .

مقال ، فإن أهل المواضع كلها فى ذلك فريقان : فمنهم من يرى أنه ينبغى أن يلخص على السُّنَن هذا التلخيص ، ومنهم من يمتنع ويمنع من ذكر شىء خارج عن الأمر نفسه ، كما يصنع أهل أريوس(١) فاغوس ، وذلك صواب من رأى أولئك . فلعمرى ما ينبغى [١٢] للفاحص أن يرد على المتكلمين إذا تقدموا فصاروا إلى الغضب أو إلى الخوف أو الرحمة ، فإن هذا القانون مُشبه . وإنْ امرؤ صار إلى استعماله صيره ذلك لبيباً أريباً . ثم هو معلوم أن الذى يُرى أو يثبت ليس له أكثر من أن يثبت أن الأمر موجود أو غير موجود ، وأنه كان أو لم يكن . فأما أن يكون عظيما أو يسيراً ، أو عدلا أو جوراً ، فإنه لم يكن واضع السُّنَّة حَدَّ وفَصَّل . فقد ينبغى للفاحص ألا يقصر فى استعماله واستفهامه من الذى يرى . وقد ينبغى بزيادة أن يحدد السُّنن المستقيم وضعها ، ويفوّض الأمر والسيرة إلى الذى يحكم وأول ذلك لأن وجدان واحد أو قليل أيسر من وجدان كثير دون صحة رأى وقدرة على وضع السنن والحكومة ، وذلك أن وضع السنن إنما يكون فى طول الزمان عن ثقة وتثبت .

(١٣٥٤ ـ) فأما الأحكام فتحدث من زمان إلى زمان . وقد يصعب لذلك أن يفوض إلى الحكام النظر فى معنى العدد أو المنفعة : أى : هل هو عدل ؟ وهل هو نافع ؟ وأعظم من ذلك كله أن حكم واضع السُّنة ليس يجرى فى الأفراد الجزئية ، لكنه فى الكل وفيما هو آتٍ . فأما رئيس الجميع والحاكم فإنما يحكم فى الأمور الحاضرة المفردة ، ولهذا تعرض المحبة والبغضة والسرور والحزن بتلك الأخرى كما ذكرنا لأنها يسيرة قد ينبغى أن تجعل فى ملك الحكام ، أعنى النظر فى الأمر : هل هو ألبتة أم لا ؟ وهل كان أم لم يكن ؟ وهل هو كائن أم لا يكون ؟ — مما ينبغى أن يفوض إلى الحكام لا محالة ، لأن واضع السُّنّة لا يقدر على أن يتقدم فيعرف هذا . وإذا كان هذا هكذا ،

---

(١) = Ἄρειος πάγος فى الأصل : رابية اريوس ، ثم أطلقت على أندم محكمة فى آتينة .

فهو معلومٌ أن الذين يحدون تلك الأخر إنما يخبرون فى صفاتهم عن صفحة الأمر وظاهره كقولهم فيما ينبغى أن يستعد به فى مقدمات الكلام أو فى الاختصاص وسائر الأجزاء الأخر ، فإنهم ليس يفيدون بذلك شيئاً أكثر من أن يضعوا كيف يصيرون الحاكم بحالٍ ما .

فأما التصديقات التى تكون بالصناعة فلا يخبرون عنها بشىء . وهذه إنما تكون من قِبَل التفكير . ومن أجل هذا ما يقول على أن الحيلة أو الصناعة فى التفسير والتشاجر واحدة ، وأنه إذا كان التشاجر فوليطيقًا ، أى مدنياً ، فهو خير وأشرف مذهباً من التفسير الذى يجرى فى الأخذ والإعطاء . فأما هؤلاء فلم يقولوا فى التفكير شيئاً ، لكنهم يتكلفون بتزويق الكلام أن يضعوا الحكم فى كل شىء [٢ ب] من الأشياء . واقتصاص الخارجة من الأمر فى التفسير قبل العمل أمرٌ خسيس . ثم التفسير على ذوى الخيانات أخسُّ من كلام العدل فى الحكومة وهو أكثر وأعمُّ ، فالحاكم هاهنا إنما يحكم فى الأمور الأهلية : فليس يحتاج المثبت إلى شىء أكثر من أن يثبت أن الأمر هكذا ، أى على ما وصفت السُّنَن(١) .

فأما فى التشاجر فليس يكتفى بهذا ، لكن مِنْ بوادى العمل فى ذلك أن يتحفظ الذى ينصت ، فإن الحكم هاهنا فى الغريبة ، ويتأمل ما يكون منهم ،
(١٣٥٥ ا) فإنهم إذا سمعوا من المتكلمين قد يسلمون للذى يثبت ، تبرعاً ، ولا يستعملون الحكم . ولذلك ما يمنع السُّنّة فى مواضع كثيرة من يتكلم بشىء سوى ما فى الكتاب . فأما هناك فإن الحكام يبالغون فى التحفظ(٢) ، ومن أجل أنه معلوم أن هذه الحيلة والصناعية(٣) إنما توجه نحو التصديقات ، والتصديق إنما يكون بالتثبيت ، فإنّا إنما نقر بالشىء إذا ظننا أنه قد يثبت عندنا . والتثبيت الريطورى هو التفكير ، لأن هذا فى الجملة هو الأصل المتقدم

---

(١) ش : نسخة : المشير (ولعل صوابه : المثبت) يعنى المدعى .

(٢) ش : هذا الوراق (كذا !) فى التفسير .

(٣) كذا !

للتصديقات . والتفكير شيء من السَّلْجَسَة[1] والسَّلْجَسَة قد ترى أنها من الديالقطيقية : إما فى الكل من هذه الحيلة ، وإما فى الجزء .

فهو واضح بَيِّن أن الذى هو بنفسه أقدر على أن ينظر مِمَّ ومن كم يكون السلوجسموس هو التفكيرى بزيادة القادر على التفكير .

ثم الذى يريد فينظر نحو ماذا يكون التفكير . وأما الفصول بينه وبين السلوجسمات المنطقية فإن للقوة الواحدة بعينها أن تُرِى الحق نفسه وما هو شبيه بالحق . ثم الناس ، مع هذا ، مُهَيَّأون كل التهيئة نحو الحق وهو أكثر ذلك يَؤمونه ويقصدون قصده . والمحمودات قد تدخل فى علم الحق مِنْ قِبَل أنها شبيهة به .

فقد استبان إذاً أن هؤلاء إنما يزخرفون القول فى صفحة الأمر وظاهره ، وأنهم مالوا ، بزيادة ، إلى أن ينطقوا بالعدل فقط .

والريطوريه ذات غناء ومنفعة ، لأن الصادقات العادلات المنفعة أفضل فى الطبيعة من أضدادها : ثم إنه إذا لم تضبط الأحكام على ما ينبغى فالمرء فيها مغلوب مقهور لا محالة ، وهذا أمرٌ يستحق التأنيب والتوبيخ . ثم إن من الناس صنفاً ليس ينبغى أن نستعمل فيما بيننا وبينهم العمل الصحيح المستقصى ، لأنه يسهل علينا أن نقنع المتكلم من مذهبه وطريقه ، وذلك أن الكلام الذى يحمل على العلم المستقصى إنما هو للتعليم . وهذا مما لا يمكن تكلفه فى تلك الحال ، لكنا قد نضطر إلى أن نجعل التصديق والكلام المشتركين[2] بيننا وبين المخاطب كالذى وصفنا [١٣] فى كتاب « طوبيقا[3] » عند قولنا فيما تلقى به وجوهٌ شتى . وقد يمكن الإقناع فى المتضادين كما يمكن السَّلْجَسَةَ ، فإنّا قد نقنع على ذى الخيانة ليس لنعقد الأمرين جميعاً ،

---

(١) ش : السلجسة : المقايسة — وهى مصدر من الفعل سلجس المأخوذ بدوره من الاسم سلجسم أو سلجسموس = συλλογισμός .

(٢) ص : المشتركان . (٣) م ١ ف ٢ .

بل لكيلا[1] يخفى علينا المذهبُ فى ذلك ، وكيف نستطيع ، إذا المتكلم تكلم ، أن ننقض عليه .

فأما سائر الصناعات فليس شىء منها يُسَلْجِس[2] فى المتضادين . إنما تفعل ذلك الديالقطيقية والريطورية فقط ، فإنهما جميعاً متهيئان للمتضادين كليهما بحالٍ واحدة . فأما الأشياء الموضوعة لها ، أى الأمور التى فيها يعملان ، فليست شبيهة بعضها ببعض ، لكنها إذا كانت من اللاتى هى أصدق وأفضل فى الطبيعة كانت السَّلْجَسَة والإقناع أفضل وأشْفَى . ومع هذا ، فليس جميلاً أن يكون قد يقبح بالبدن أن يعْجزَ عن نُصْرة نفسه ،
(١٣٥٥ ب) ولا يقبح ذلك بالكلام الذى هو أخصُّ بالإنسان من جميع ذوات البدن ، أعنى أن يعجز أن يضر الضرر العظيم مستعملا بالجور لهذه القوة فى الكلام . وهذا شىء يوجد عاماً فى جميع الخيرات سوى الفضيلة ، ولا سيما فى الأمور النافعة النفيسة مثل الجلد والصحة واليسار والسلطان . فكل هذا ونحوه مما قد ينتفع به المرء المنفعة العظيمة إذا استعمل العدل . وكذلك يضر إذا جار .

فقد استبان إذاً أن الريطورية ليست جنساً لشىء واحد مفرد ، لكنها بمنزلة الديالقطيقية ، وأنها جدّ نافعة ، وأنه ليس عملها أن تُقنع ، لكن أن تُعرِّف المُقْنِعات فى كل أمر من الأمور ، كما يوجد فى صناعات أخر : فإن الطب أيضاً ليس عمله أن يؤتى الشفاء ، لكن أن يبلغ من ذلك حيث يُستطاع أن يبلغ . وقد يشترك الضعفاء أيضاً فى الشفاء ، ولكن الشفاء بالصواب الصناعة . ثم فى الريطورية أيضاً مقنع ، وما يرى مقنعاً كمثل ما الديالقطيقية مُسَلْجِس وما يُرى مُسَلْجساً . فأما السوفسطى فليس بالقوة يكون سوفسطياً ، لكن بالمشبه .

فليكن الريطوريون هاهنا : أما بعض فن جهة العلم ، وأما بعض فن

---

(١) ص : ليكيلا — وهو تحريف ظاهر .

(٢) فعل منحوت من سلجسة = Syllogisme .